المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يقوم العلمانيون منذ فترة طويلة بحملة واسعة ضد تحكيم الشريعة الإسلامية، وضد الإسلاميين الذي يطالبون بتحكيمها، ويحشدون جهودهم في ذلك؛ كأنما يدرؤون خطراً داهماً يوشك أن يدهمهم، ويلوحون في حملتهم بالديمقراطية بديلاً من الإسلام، ويرددون كثيراً في كلامهم (التعددية) وكلمة (الآخر) و(الحرية السياسية) و(تداول الحكم).

ويعجب الإنسان من ذلك حين يعلم أن كثيراً من أولئك العلمانيين كانوا شيوعيين يوم أن كانت الشيوعية ذات سطوة وسلطان.. فلما انهارت الشيوعية بالسرعة المذهلة التي انهارت بها، لبس أولئك العلمانيون ثياب (الديمقراطية) وصاروا ينادون بها كأنهم كانوا من دعاتها منذ نعومة أظفارهم! و قد كانوا في فترة اعتناقهم الشيوعية ينددون بالتعددية الحزبية، ويرون فيها الفساد كله.

فلما سقطت الشيوعية واحتاجوا إلى تغطية أنفسهم لبسوا ذات الرداء الذي كانوا يلعنونه بالأمس ويندون به!.

ويعجب الإنسان كذلك حين يراهم يعارضون تطبيق الشريعة بدعوى أن تطبيقها لا يتيح الحرية للأمة لكي تمارس (حقوقها السياسية).

ولا يتيح(للمعارضة) أن تعبر عن مواقفها، ولا يحترم (الآخر) .. بينما كانوا بالأمس من أشد أعوان الحكم العسكري الذي يكتم أنفاس الأمة، ويسحق المعارضة سحقاً لا هوادة فيه، ويفرض رأيه على الأمة فرضاً على طريقة فرعون الذي كان يقول: {أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}سورة غافر: الآية 29.. ويجعل فكرة (تداول الحكم) جريمة منكرة لا تخطر إلا في بال الخونة المارقين!

ويملأ السجون والمعتقلات بألوف من الرجال والنساء والشباب والشيوخ، ويعذبهم بما لا مثيل له في التاريخ كله إلا في محاكم التفتيش!

وربما يزول العجب - أو بعضه على الأقل- إذا أدرك الإنسان أن الذي يحـرك العلمـانيين أساسـاً هـو كـراهيتهم للشريعـة الإسلاميـة ونفورهـم من تطبيقهـا، ومن ثم يتخـذون مـواقفهم في الموقـع الذي يهاجـم الإسلام والإسـلاميين، بصـرف النظـر عن طبيعـة ذلـك الموقع وحقيقة أفكاره.. ولا يجدون في أنفسهـم حرصـاً أن يغـيروا مواقعهم من أقصى اليسار إلى أقصـى اليمين، مـا دامـوا في هـذا الموقع أو ذاك يدخلون في زمرة قوم أعداء الإسـلام والإسـلاميين، ويشاركونهم في مهاجمـة الإسلام والإسلاميين!

ولكنـا نضرب صفحاً عن هذا كله، ونـدخل مـع العلمـانيين في حـوار هادئ جهد الطاقة، نريده أن يكون علمياً بحتاً وموضوعياً بحتـاً، وأن نصل منه معـاً إلى حقـائق علميـة وموضـوعية تكشـف الغبش الـذي غشى على كثير من النـدوات الـتي قـامت في الفـترة الأخـيرة بين العلمـانيين والإسـلاميين، ولم تصـل إلى شـيء في النهايـة؛ لأنهـا كانت أقرب إلى الصراع الفكري منها إلى البحث الموضوعي.(1)

وبعـد ذكـر هـذه المقدمـة يحسـن بنـا أن نتطـرق في موضـوعنا - العلمانية طاغوت العصر- إلى مواضيع عديدة، فنقول: قبـل الـدخول في تعريف العلمانيـة، وأسـباب ظهورهـا، وبعض مظاهرهـا، وحكم الإسلام فيها، لا بد أن نقدم قبل ذلك بموضوعين مهمين:

الأول: أوروبا وتجربتها مع الدين:

كانت تجربة أوروبا مع (الدين) تجربة بئيسة إلى أقصى حـد..

كان الدين بالنسبة إليها ظلاماً وجهلاً واسـتبداداً وغلظـة وانصـرافاً عن عمارة الأرض: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا}سورة الحديد الآية 2.

ووقـر في حسّ أوروبـا من خلال تجربتهـا الخاصـة – أن هـذا هـو (الدين).

ولذلك نفرت منه، ثم هاجمتـه أو بعدتـه عن واقـع الحيـاة، وحسـبته في نطاق ضيق في ضمائر النـاس، إن بقي للنـاس ضـمائر بعـد أن أبعدوا عن الدين! وأوروبـا في هـذا معـذورة من ناحيـة، ولكنهـا من ناحية أخرى غير معذورة.

معـذورة في النفـور من (ذلـك الـدين) والسـعي إلى تقليص نفـوذه ونزع سلطانه، وحبسه في أضيـق نطـاق ممكن.. بـل نبـذه والخـروج عليه جهـرة .. ولكنهـا غـير معـذورة في أن يكـون هـذا موقفهـا من (الدين) بعامة، الصحيح منه وغير الصحيح!.

إن أوروبا لم تعرف دين الله الحقيقي الـذي أنـزل على عيسـى بن مريم – عليه السلام- إنما عرفت صورة محرفة منه، هي التي أذاعها بولس (رسول الأمم) ونشرها في ربوع الأرض، وبخاصة في أوروبا.

يقول المؤرخ البريطاني (ويلز) : (وظهرت للوقت معلم آخر عظيم، يعده كثير من الثقاف العصريين المؤسس الحقيقي للمسيحية(2)**. وهو شاول الطر سوسي أو بولس.. والراجح أنه كان يهودي المولد، وإن كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك**(3)**.. ولا مراء في أنه تعلم على أساتذة من اليهود، بيد أنه كان متبحراً في لاهوتيات الإسكندرية الهيلينية.. وهو متأثر بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهلنستية**(4)**.. وبأساليب الرواقيين**(5)**.. كان صاحب نظرية دينية ومعلماً يعلم الناس قبل أن يسمع بيسوع الناصري بزمن طويل.. ومن الراجح جداً أنه تأثر بالمثرائية**(6)**.. إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المثرائية. ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنباً إلى جنب مع الأناجيل، أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا يظهر قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعاليم، إلا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قرباناً لله، كفارة عن الخطيئة**(7)**.. فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية، أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة، ديانة الكاهن والمذبح، وسفك الدماء لاسترضاء الإله.**)(8)

ويقول أيضاً: (وفي أثناء ذلك الأمد غير المحدد كان يحدث فيما يبدو قدر جسيم من ضرب بعينة من الثيوكرازيا - أي التداخل والمزج بين الآلهة والعقائد المختلفة- بين النحلة المسيحية والعقيدة المثرائية التي تكاد تضارعها في سعة انتشارها بين سواد الشعب، ونحلة سيرابيس إيزيس حورس. على أن ما أسهمت به نحلة الإسكندرية في الفكر المسيحي والطقوس المسيحية كان أعظم قدراً أو يكاد.. إذا كان طبيعياً أن يجد المسيحيون في شخصية حورس الذي كان ابناً لسيرابيس وهو في نفس الوقت شبيهاً مرشداً لهم فيما يبذلون من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا....)(9)

وتتضح من شهادة (ويلز) عدة أمور:

1. **أن الدين الذي نشره بولس ليس هو الدين الذي جاء به المسيح - عليه السلام-**.
2. **أن بولس قد مزج الدين الذي جاء به المسيح - عليه السلام- بالوثنيات القائمة يومئذ، وخاصة الميثرائية التي أتى بها فارس، والهلنستية التي جاء بها من الإغريق، والتثليث الذي جاء به من الديانة المصرية القديمة**.
3. **أن أهم ما كان في الدين الذي جاء به المسيح هو (الميلاد الجديد للإنسان) وهذه سمة الرسالات السماوية جميعاً، التي تتنزل لتخليص البشر من أوهامهم الوثنية وانحرافاتهم، وتقدم العقيدة الصحيحة لهم، فتمنحهم ميلاداً جديداً ينعتقون فيه من أغلال الوهم، وعبودية بعضهم لبعض، ويرتفعون به إلى**

الوضع اللائق بهـم : عباداً لله وحده، متحـررين من كـل عبوديـة زائفة لغير الله.. وأن هـذا (الميلاد الجــديد للإنسـان) هـو الـذي طمسته ديانة بولس فأعادت الناس إلى الديانة القديمـة ديانــة الكاهن والمذبح.. أي الـديانات الوثنيـة الـتي كـانت قائمـة قبـل الميلاد الجـديد..(10).

ثم نقل الأستاذ / محمـد قطب بعـد الكلام الـذي ذكرنـاه سـابقاً بعض أقوال المـؤرخين الغربـيين عن التحريـف للـدين المـنزل على عيسى - عليه السلام-، ثم يبين خلاصة ما يستفاد من كلام أولئـك المـؤرخين، ثم قـال: نعم.. لسـنا نحن المسـلمين الـذين نقول إن الدين الذي اعتنقته أوروبـا لم يكن دين اللـه المـنزل على عيسـى - عليـه السـلام -، إنمـا يقولـه مـؤرخهم وكتـابهم، ويقوله كل من يعرف حقائق التاريخ.

ولقد كان مدى التحريف هائلاً جداً في ذلك الدين الذي اعتنقته أوروبا وظنت أنه دين الله.

ولم يكن التحريف في مجال العقيدة وحـدها – وهـو خطـر في ذاته- ولكنه وقع في أمـر آخـر لا يقـل خطـراً عن العقيـدة، هـو فصل العقيدة عن الشريعـة، وتقديم الدين للناس كأنه عقيــدة فقط بغير تشريع!

وقد كان لهذا آثار بالغة الخطـورة في حيـاة أوروبـا السياسـية الاجتماعية والفكرية والاقتصادية.. وفي كل اتجـاه.

لقـد أشـار (ويلز) إلى أن الـدين قـد تحـول على يـد بـولس من بساطته وصفائه الذي جاء به عيسى بن مريم إلى دين (المذبح والكاهن) الذي كان قائماً في الديانات الوثنيـة السـابقة.. وذلـك حق.. وهو ذو صلة بالتحريف الذي أحدثه ذلك اليهودي المتنصر، الذي دخل النصرانية ليفسدها من الداخل؛ كما فعـل عبـد اللـه بن سـبأ اليهـودي بعـد ذلـك بعــدة قــرون حين دخـل الإسـلام ليحاول إفساده من الداخـل، ولكنـه لم ينجح كمـا نجــح شـاول من قبل؛ لأن الله تكفـل بحفـظ رسـالته الخاتمـة، بينمـا وكـل حفـظ الرسـالات السـابقة للبشـر فضـيعوها:{**إِنَّا أَنزَلْنَـا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُـورٌ يَحْكُمُ بِهَـا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْـلَمُواْ لِلَّذِينَ هَـادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَـانُواْ عَلَيْـهِ شُـهَدَاء**} **سـورة المائـدة الآية**: 44.{**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّا لَـهُ لَحَافِظُونَ**} **سورة الحجر الآيـة**: 9.

وفرق كبير بين حفـظ اللـه واسـتحفاظ البشر. فالكتـاب الـذي تكفل الله بحفظه قد بقي كما أنزل بغير تحريف، فظل قائمــاً ليطبق في واقع الأرض، وليرجع الناس إليـه كلمـا هم أحـد أن يحدث تغييراً في أصول الدين، بينما حرفت الكتب الأخرى التي

وكـل حفظهـا إلى البشـر، وسـهل على أصـحاب الأهـواء - من بينهم ذلك اليهودي المتنصر- أن يحـدثوا في دين اللـه مـا ليس فيـه؛ كمـا تـبين من شـهادات الـذين استشـهدنا بهم آنفـاً من الكتاب النصارى أنفسهم... ومن شأن الدين المحـرف على هـذا النحـو أن يتحـول علمـاؤه - أو رجالـه - إلى كهنـــة، وأن يتحـول الكهنـة مع الـزمن إلى وسـطاء بين البشـر وبين اللـه، فيكـون لهـم سلطان طاغ على أرواح النـاس.

إن لكـل دين (رجـالاً) مهمتهم أن يتفقهـوا في الـدين ليعلمـوا النـاس أمـور دينهم الـتي لا يسـتطيعون أن يتعرفـوا عليهـا بأنفسهم، فيتعلموها على يد أولئك الذين تفقهوا فيها.

وحين يكـون الـدين عقيـدة وشـعيرة وشـريعة، وعلمـاً للـدنيا والآخـرة، يكون هؤلاء (الرجال) علماء وفقهاء، ودعـاة ومـربين، ويربـون بالقـدوة الطيبـة، وبـالعلم النـافع الـذي يبصـر النـاس بآخرتهم ودنياهم.

أما حين يكون الدين عقيدة فقط بغير شريعة، وعقيدة محرفـة على هذا النحـو العجيب الـذي لا يسـتطيع العقـل أن يدركـه أو يسيغه، فهنا تنحصـر مهمـة أولئـك الرجـال في محاولـة وصـل النـاس بـربهم عن طريـق الجـانب الروحـاني وحـده من ذلـك الدين، دون الجـانب الفكـري أو العقلاني؛ لأنـه أصـلاً لا يخضـع للعقـل ودون الجـانب الفقهي والتعليمي الـذي أبصـر النـاس بمنهج الحياة الصحيح الذي ينظم لهـم جوانب الحياة المختلفة: السياســية والاقتصــادية والاجتماعيـــة والعلميـــة والفكرية.. فينقلب أولئــك (الرجــال) بمقتضــى ذلــك الحــال إلى (كهنـة) يحتفظـون (بالأسـرار).. الأسـرار الـتي تستعصـي على أفهـام النـاس، ويصـبحون - بمقتضـى ذلـك الحـال أيضـاً - وسـطاء بين العبـد والـرب؛ لأن الطريـق بين العبـد والـرب محفـوف بتلـك الأسرار العجيبة الـتي تحتـاج إلى وسـيط يفسـرها للعبـد وهـو سـالك طريقــه إلى اللــه، أو على الأقــل يؤنســه في وحشــة الطريق الغـامض الـذي يسـلكه إلى اللـه، فيطلـق لـه إشـعاعة روحية يحاول بها أن يهتدي في منعرجات الطريق!

وهكذا أصبح (رجال الدين) في النصرانية المحرفـة (كهنـة)؛ كمـا أشار (ويلز) يقومـون بـالطقوس التعبديـة، ويحتكـرون تفسـير الوحي، فأصبح لهـم نفوذ هائل على أرواح الناس.. وكانت تلـك هي نقطة البداية الخطيرة التي أدت إلى الطغيان الهائل الذي مارسته الكنيسة ورجال الديـــن.

إن الكنيسـة ذاتها بدعة مبتدعة لم يتنزل بهـا سـلطان من عنـد الله.. إلا ذلــك الســند المزيــف المنســوب إلى المســيح (أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابـني كبنيـتي، وأبـواب الجحيم لن

تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه في الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات.!!)(11)

إنها قولة لا تصدر عن نبي ! فعيسى نفسه -عليه السلام- لا يملك أن يربط شيئاً أويحله في الأرض - إلا بإذن ربه-، وليس له أن يحل أو يحرم إلا بإذن الله:{**لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** } **سورة النساء، الآية**: 172.

{**قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا** }**سورة المائدة، الآية** 17.
فإذا كان هذا هو حال المسيح نفسه – عليه السلام – فكيف يمنح هذا الحق الذي لا يملكه لنفسه فيعطيه لبطرس أو لغيره من البشر، وهو حق لله الخالص الذي لا يشاركه فيه أحد على الإطلاق؟

ولكن الكنيسة نشأت، واستمدت سلطانها الزائف من تلك الأسطورة المنسوبة للمسيح، وأصبحت هي ذاتها إحدى تحريفات ذلك الدين!

ثم إن الكنيسة لم تكتف بسلطانها الروحي على قلوب الناس، الذي يفهم من شعارها ذاته الذي رفعته منسوباً إلى المسيح (**أد ما لقيصر وما لله لله**) ..**إنما كان ذلك في وقت استضعافها في القرون الثلاثة الأولى**... **ولكن الكنيسة استأسدت بعد ذلك في القرن الرابع حين دخل قسطنطين في النصرانية لأهداف سياسية؛ كما يقول المؤرخون، ومكن للكنيسة ورجالها، بعد أن أفلح في مزج دينها بأساطير الوثنية، وأرضى بذلك النصارى والوثنيين معاً، وأمن سلطانه على الإمبراطورية التي كان النزاع الديني قد أوشك على القضاء عليها**!.

يقول درابر الأمريكي في كتابه: (**الدين والعلم**) : **ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية، بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة، ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يوماً من الأيام**.. **وكذلك كان قسطنطين**.. **فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتغير بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلاً في آخر عمره**.

وإن هذا الإمبراطور الذي كان عبداً للدنيا، والذي لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئاً، رأى لمصلحته الشخصية، ولمصلحه الحزبيين المتنافسين - النصرانية والوثنية- أن يوحدهما ويؤلف بينهما، حتى إن النصارى الراسخين أيضاً لم ينكروا عليه هذه الخطة! **ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة**

الجديدة ستزدهر إذا طمعت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة! **وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها!)(**12**).**

وحين أصبح للكنيسة سلطان سياسي إلى جانب السلطان الروحي بدأ الطغيان!.

إن الطغيان طبع بشري لا يحتاج أن نبحث له عن أسباب:{**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى**}**سورة العلق الأيتان**:(6-7). **إنما يمنع الناس من الطغيان شيء واحد من داخل نفوسهم، هو تقوى الله.**(13)

وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيراً. **وإلى الحلقة الثانية**- **إن شاء الله**-.

العلمانيون والإسلام (5- 6) **محمد قطب، ط**: **دار الوطن للنشر** - 1

أي للدين الذي عرفته أوروبا - 2

كما ينكر بعض الكتاب اليهود شخصية عدب الله بن سبأ المراد به في عملها الشخصية بولس، فهذا دخل النصرانية ليفسرها من داخلها، وذاك دخل الإسلام ليحاول إفساده من الدخل. - 3

مدارس الفلسفة الإغريقية وخاصة مدرسة الإسكندرية. - 4

مدرسة فلسفية أسسها الفيلسوف زينون مبنية على الزهد في قناع الحياة الدنيا وعدم المبالاة بلذائذ الحسن والأمة. - 5

"ديانة فارسية قديمة "عبادة مثرا إله النور - 6

أي القربان البشري- 7

كتاب "معالم تاريخ الإنسانية" ترجمة عبد العزيز توفيق جاون، طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة، (3/705) - 8

المرجع السابق (708/3-709)- 9

العلمانيون والإسلام (8-11) **محمد قطب** - 10

إنجيل متى الإصحاح السادس عشر (19،20) - 11

العلمانيون والإسلام لمحمد قطب، نقلاً عن كتاب (**ماذا خسر العالم بمخطط المسلمين**) **للسيد أبي الحسن الندوي.** - 12

انظر العلمانيون والإسلام للإستاذ/ محمد قطب - 13